Al-Mahdi Research Journal (MRJ)
Vol 5 Issue 3 (January-March 2024)
HJRS HEC Journal Recognition System
Category Y
ISSN (Online): 2789-4150
ISSN (Print): 2789-4142

The Quranic Rhetoric and Farazdaqh's Poetry

الجانب البلاغي القرآني و شعر فرزدق

Hafiz Muhammad Zafar Siddique
PhD Scholar Department of Arabic, the Islamia University of Bahawalpur, zafarsiddique742@gmail.com

Muhammad Nadeem
PhD Scholar Department of Arabic, the Islamia University of Bahawalpur, mndm8282@gmail.com

Abstract

Al-Farazdaqh Hammam bin Ghalib bin Sa`sa`ah Al-Temimy is one of the famous Arab Poets of the Omayyad era, his father was honored by his folks, and he had a distinguished status among the poets, due to his well-made poetry he was put at the same status of Zuhair bin Abi Sulma who lived in the pre-Islamic era, with his poetry, he had done much to the Arabic language that it was said (without the poetry of Al- Farazdaqh one-third of the Arabic language would go), and Al- Jahidh had said (if you like to hear unique short poems read that of Al- Farazdaqh), hence the researcher decided to study Al- Farazdaqh poetry to find out the effect of the greatest Heavenly Book Al-Qur`an on it. The research consisted of three chapters with sub- topics i.e. Al Tashbeeh, Al Tamtheel, and Al Istiarah.

Keywords: Al-Quran, Al-Balagha, Al- Farazdaqh, Al Tashbeeh, Al tamtheel, Al istiarah, Al-Istidlal

المقدمة

CC BY

القرآن الكريم مفخرة العرب في لغتهم، إذْ لم يُتح لأمة من الأمم كتاب مثله من حيث البلاغة والتأثير في النفوس والقلوب، فهو معجزة بيانية، ومن الطبيعي ألاّ تمرَّ هذه المعجزة البيانية بحياة العرب من دون أن تؤثر في أدبهم، فقد أثّر القرآن في الأدب العربي تأثيراً كبيراً، سواء من حيث اللغة والأسلوب أم من حيث المعاني والأفكار أم من حيث الصور والأخيلة. ومما لاشك في الله أنّ القرآن بنزوله حوّل اللغة العربية الي لغة دين سماوي باهر،فأصل فيها معاني لم تعرف من قبل نحو:(الفرقان ، والكفر، والإيمان ، والإشراك، والإسلام والنفاق-- إلي غير ذلك- وقد ورد منها عدد في شعر الصحابه رضي الله عنهم، من ذلك ما جاء في شعر عبدالله بن رِواحه الذي كان دائم الاستمداد من القرآن الكر يم ومن أشعاره التي نظمها بعد إسلامه قوله:

شهدتُ بأنّ وعد الله حق و أنّ النّار مثوي الكافرينا ([1])

وبذلك يتجلّي تأثير القرآن الكريم في أشعار العصر الإسلامي،إذا تأثّر كثير من الشعراء بألفاظه وعبارته ومعانيه، ومن ذلك قول كعب بن زهيرؓ:

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ و تفصيل ([2])

و قدأخذ الشعراء معاني القرآن وأفكاره، من ذلك تأكيدهم معني التوحيد و فكرته كقول كعب بن زهير:

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكلّ ما قدر الله مفعول ([3])

إذا نظر في هذه الفكرة إلي قوله تعالي: **(ليقض الله أمراً كانَ مفعولاً)** ([4])

أمّا صورة القرآن الكريم فقد أثرت كثيراً في الشعر العربي،إذا اعتمد الشعراء تشبيهات واستمدوا من الصورة الجميلة ما استطاعوا أن يوظفوه في أشعارهم، ساهم فرزدق بالإضافة إلى أشخاص آخرين في قيام صرح الشعر العربي في العصر الأموي، حيث نظّم الشعر في جميع الفنون المعروفة بالفن الشعري، غير أن أكثر نصيب كتب به هو الفخر ويليه الهجاء ثم المديح، وقد شكل فرزدق مع الأخطل وجرير ما يعرف باسم المثلث الأموي، ومن أروع قصائده التي قالها هي قصيدة مدح زين العابدين بن حسين بن عليؓ، وقد امتاز شعر فرزدق بمتانة التركيب واستخدام الألفاظ البدوية حيث قيل في شعره بأنه ساهم في حفظ ثلثي اللغة من الضياع.

وسواء كان شاعرنا متديناً أو متظاهراً بالتدين والصلاح ، فإن ديوانه يدل على ثقافة إسلامية ومعرفة بالقرآن الكريم واطلاع على أحكامه وقصصه وأسلوبه ،وتأثر بهذا الأسلوب تأثراً واضحاً في صياغته ، وألفاظه وتعابيره ، فضلاً عن استعماله لكثير مما شاع من المصطلحات والألفاظ التي جدت مع الحياة الإسلامية.

ومن ألوان هذا التأثر بالقرآن الكريم أن الشاعر يعتمدا أحيانا إلى أن يفرغ معنى آية أو أكثر في بيت واحد، مستعينا على ذلك ببعض الألفاظ التي تستعملها الآية نفسها بعد أن يغير في صيغها ما تتطلبه الضرورات الفنية في الصياغة الشعرية ومن أمثلة وذلك قوله:

وما لله تسجد ازد بصري ولكن يسجدون بكل نارا ([5])

ذلك أنّ السجود لا يكون إلا لل ولما أمر الله ، في هذا البيت يذكر فرزدق علي الساجدين لغير الله كعبدة النّار، فالسجود لا يكون إلا له سبحانه و تلميح الآية في هذا الشعر (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ([6])

CC BY

و يقول فرزدق:

وكائن أصابت مؤمنا من مصيبة علي الله عقابها، ومنه ثوابها ([7])

وفي هذا البيت لمّح الشاعر و أشار إلي الآية الكريمة تتجلّي إيمان الشاعر في تسليم أمر الله تعالي بعد وفاة ولديه، ويرجو من ذلك حسن العاقبة والثواب. وقد استوحي هذه الفكرة من الآية الكريمة: **(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)** ([8])

وقوله :

قوم لهم خص إبراهيم دعوته إذ يرفع البيت سورا فوق تأسيس ([9])

أخذه عن الآية **(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ)** ([10])

ولم يتوقف تأثير فرزدق بالقرآن الكريم عند باب المديح في شعره بل أنه تسرب إلي الهجاء ، وهو ينهج عليه في المديح من تلخيص واقتباس للآيات التي توافق الفكرة التي يريد صياغتها شعرا ، ومن أمثلة ذلك قوله للفرزدق:

تخف موازين الخنائي مجاشع ويثقل ميزاني عليهم فيرجح

وهو إشارة إلى الآية **(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)** ([11])

وإلى جانب هذه النماذج التي ذكرناها نجد شاعرنا قد استعمل في شعره مجموعة كبيرة من ألفاظ ومصطلحات العصر الإسلامي سواء منها ما ابتدعته هذه الحياة أو ما وجدته مستعملا في اللغة فحملته معنى من معانيها فأصبح ذا صبغة إسلامية ولما كانت الحياة الإسلامية قد تميزت بميدانين جديدين هما ميدان الحكم والسياسة وميدان الدين ، فإنّ أكثر ما نجده من ألفاظ إسلامية في شعر فرزدق يتصل بهذين الميدانين.

مدخل إلي الموضوع:

الصورة في أبسط تعريف لها : اية هياة تثيرها الكلمات الشعريه في الذهن علي شرط أن تكون هذه الهياة معبرة، وموحية في وقت واحد([12]). لم يعثر دارس الأدب العربي القديم علي تعبيرالصورة في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول اليوم، وإن كان الشعر القديم يزخر بضروب التصوير،لأن الدرس النقدي العربي كان يحصر التصويرفي مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة. إذن الصورة مصطلح حديث،مختلف عن مفهوم الخيال في النقد العربي القديم ([13])، علي الرغم من وجودهافي ذاتهافي الشعرمنذ إن وُجِدَ، وهي من أساسيات الشعر،ومن دونها لايعدّ الشعر شعراً.

والتصويرفي القرآن الكريم،ليس تصويراً شكلياً بل هو تصوير باللون، وتصويربالحركة وتصويربالتخيل، وأنه تصويربالنعمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيراً ما يشترك الوصف الحور، وجرس الكلمات ونغم العبارت، وموسيقي السياق في إبراز صورة من الصور([14]).

ولما نزل القرآن الكريم كان خير معين للشعراء في رسم صورهم، واتساع مخيلتهم، فقد أثري مخيلتهم بالمفردات القرآنية، وهم بالصور القرآنية أكثر تأثيراً، لأن الصورة الصق بالأذهان وأكثر قدرة علي البيان، فاستطاع الشعراء من

خلال الصورة تدوين أفكارهم، وآراءهم التي يؤمنون بها مستفيدين بذلك من آيات القرآن الكريم، وحاولوا تضمينها أشعارهم، وفرزدق في مقدمة هؤلاء الشعراء.

أنّ التعامل مع صورالقرآن الكريم تتباين طرقه من شاعر إلي آخر علي وفق موهبة ذلك الشاعر وأصالته فمن المالوف أن تختلف الاستجابة لهذه الصورة، فالشعر صناعة كما يقول الجاحظ ([15]) ولكلّ صناعة أدوات لو أحسن استخدامها.

اسنحاول فيماياتي تتبع افادة فرزدق من صورالقرآن الكريم في ديوانة بعدالاشارة الي اهم الفنون البيان التي تضمنهاشعره وهي:

١ـ التشبيه:

وهو من الفنون الأصيلة عند العرب قبل نزول القرآن الكريم، كان يجري في كلامهم وأشعارهم، وكان يعبّر عن البيئة الصحراوية بكل مشاهدها، ثم نزل القرآن الكريم وكان حافلاً بأنواع التشبيهات التي جاءت لتصوير المعاني أذق تصوير وتؤثر في النفوس أشد تأثير فدارت في قصائدهم، لتقريب المعاني إلي أذهان المخاطبين.

والتشبيه يعدّ من أكثر الفنون البيانيه استعمالاً وأكثرها أصالة ودلالة علي قدرة الأديب وتمكنه من فن القول، ولأهميته وأصالته في التعبير البياني (فقدعُني أسلافنا من النقاد بدراسته والبحث عن الصلات التي تربطه بغيره من صورالبيان، محاولين الكشف عن العلل الجمالية وراء هذه الصورالبيانيه)([16]).

وقد أدرك منذ القديم أهمية التشبيه، ومنزلته في التصوير البياني، فهو عندهم من الصور التي تراود الخيال وبه تحسن الصوره المراد التعبير عنها، ولكن تشبيهاتهم كانت غالبا تشبيهات حسية، إذ كانوا يرون في اشتراك الشيئين في أمر ما مسوّغاً كافيا لعقد مشابهة بينهما([17]).

لم تقف التشبيهات في القرآن الكريم عند مجرد تسجيل وجود الشبه المادي بين الأشياء، بل تجاوزتها إلي المماثلة النفسية، وتعمقها حتي أضيفت إليها حياة شاخصة وحركة متجددة، فانقلب المعني الذهني إلي هياة أو حركة، وتجسمت الحالة النفسية في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في ألفاظ يدلُّ علي صورة معانيها([18]). لقد وردت في ديوان فرزدق بعض الصورة التشبيهية منهامايأتي:

إنّ سمة الحظ هي تدبير إلهي فسبحانه يفضل علي شخص دون آخر، فقدصوّرفرزدق في قوله وهو يمدح الوليدبن عبد الملك :(الطويل)

تصعّد جدّ بالوليد إلي التي ... أري كلَّ جدٍّ دونها يتَصوبُ

أري الثقلين الجنُّ والأنس إصبحا ... يمدن أعناقاً إليک تقرَّبُ

وما منهما إل ايرجي كرامة ... يكفيک أو يخشي العقاب فيهربُ ([19])

صورفرزدق في الأبيات المتقدمة الحظ من حسنات الخليفة من خلال قوله: (تصعّد جَدب الوليد) و(أري كلَّ جَد يتصوّبُ)، فكل حظ دون حظ الخليفة هوادني وأقل، فالشاعر صوّر ممدوحه بأنه يمتلک أنفس شيء علي الثقلين

CC BY

وهي أعناقهم من باب الذلة لهم، والعظمة والكبرياء للخليفة، وتتبين الأبيات أيضا سطوته علي الثقلين فهم أمّا يرجون كرامة منه أو يخشون عقابه فيلوذون بالفرار.

استثمر الشاعر كلّ هذه الصورة من أجل تقوية المعني الذي يدورفي فكره، وقداستعارلأبياته المتقدمه لفظاً قرآنياً لتثبيت صورته في مخيلة المتلقي، من قوله تعالي: **سَنَفرُغُ لَكُم اَيهَاالثَّقَلَانِ** ([20]).

وقد بالغ الشاعر في الأبيات المتقدمة في تصوير هيبة ممدوحه وعظمته،التي تذكرنا بعمرو بن كلثوم التغلبي الذي جعل الجبابرة تخر لعظمة قومه، ثم أن الرؤية التي يراها فرزدق من تخيلة فلا يمكن رؤية الأنس والجن معاً، لأن نظر الجن مما لا يحيط به نظر الإنسان، ولكن مبالغة الشاعر في المديح اقتضت هذا السياق، فالجن لا يريدون من الوليد كرامة ولا يخافون منه عقاباً فجاء بهذا المعني من خلال المقابلة بين شطري البيت :

وما منها الا يرجي كرامة بكفيك أو يخشي العقاب فيهربُ

ومن خلفاء الدولة الأموية سليمان بن عبدالملك الذي لم تدم خلافته أكثرمن أربعة أعوام، وقد اتصل به فرزدق ومدحه بأرقي قصائده وزاد من فرط حبه له إن وفد عليه وأنشده شعره ولم يكن وفدعلي خليفة من قبل.

وقد بلغ من براعة فرزدق أن معانيه كانت محمولة في صورة واقعية حدثت بالفعل، وقد تكون كناية تحمل من المعاني الشيء الكثير، نحوقوله: (الكامل)

كنّا ننادي الله نسأله في الصبح والأسحار والعصر
أن لا يميتك أو تكون لنا أنت الإمام و والي الأمر
فأجاب دعوتنا ، وأنقذنا بخلافة المهدي من ضُرّ
يابن الخلائف لم نجد أحداً يبقي لحز نوائب الدّهر
إلا الروسي ، وهي كائنة كالعهن ، وهي سريعة المر ([21])

نجد كثيراً من المعاني الحقيقية والمجازية علي السواء فالله أنقذهم بخلافة سليمان من الضرّ الناتج عمّا خلفه الحجاج وولاته علي العراق من الظلم الاستعباد، فهذه المعاني الحقيقية، وأما المجازية فقد تزامنت وجاءت معاً في هذه الأبيات مما زاد في عمق المعني وتمكن الشاعر من استيفاء غرضه بمثل هذه الصور.

وفي أبيات أخري صوَّرفرزدق فيها الفرحة بتولّي سليمان بن عبدالملك الخلافة والخلاص من الحاكم الجائر بعد أن أجري مقارنة بين ما كانوا فيه وما صاروا إليه يقول: (الكامل)

ما أَصبَحَت أَرضُ العِراقِ بِها وَرَقٌ لِمُختَبِطٍ وَلا قِشرِ
إِن نَحنُ لَم نَمنَع بِطاعَتِنا وَالحُبِّ لِلمَهدِيِّ وَالشُكرِ
فَغَدَت عَلَينا في مَنازِلِنا رُسلُ العَذابِ بِرَغوَةِ البَكرِ
أَشقى ثَمودَ حينَ وَلَّهَهُ عَن أُمِّهِ المَشؤومُ بِالعَقرِ([22])

يقول فرزدق: إنّ الله قدمَنَّ عليكم بالخليفة سليمان بعد ما كان من حاكم فإنكم إن لم تطيعوه سيحلُّ بكم الذي حلَّ بقوم ثمودحين طغوا وكفروا بالنعمة التي أرسلها لهم بارئهم وخالقهم، فالشاعري مدح الخليفة ويحذر من مغبّة

عصيان أوامره، لأنه من نعم الله عليهم كما كانت الناقة وفصيلها من نعم الله علي قوم ثمود لكنهم جحدوا بها فأصابهم ما أصابهم من غضبه تعالي وهذا ماورد في قوله تعالي من سورة الشمس: **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ـ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ـ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ـ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**ـ[23]

ثم يقول مصوراً ومشبّهاً حال الناس بعد خلافة سليمان بالزرع الذي عادت له الحياة فيقول: (الكامل)

كُنّا كَزَرعٍ ماتَ كانَ لَهُ ... ساقٍ لَهُ حَدَبٌ مِنَ النَهرِ

عَدَلوهُ عَنهُ في مُغَوَّلَةٍ ... لِلماءِ بَعدَ جِنانِهِ الخُضرِ

أَحيَيتَهُ بِعُبابِ مُنتَلِمٍ ... وَعَلاهُ مِنكَ مُغَرِّقُ الدَبرِ

أَحيَيتَ أَنفُسَنا وَقَد بَلَغَت ... مِنّا الفَناءَ وَنَحنُ في دُبرِ[24]

فهو يشبه حالهم قبل مجيئ سليمان بالزرع الميت الذي كان يسقي من النهر حتي يرتَوِي، لكنه مُنع عنه الماء فمات وهلك،ثم جاء سليمان وأعاده إليه فنما وأخضرَّ وعادت له النضارة والجمال. والتعبير(عدلوه عنه في مغولة) أي في أرض بعيدة عنه حتي مات. أما التعبيرباحياء النفس فيدلّ علي هول ماحلّ بهم في العهد الماضي وعظم ما قدمه سليمان لهم بعد أن آلَت إليه الخلافة فكانه أعادلهم الأمل في الحياة بعد أن طوّح بهم الظلم .فالخليفة كالماء لذلك الزرع الذابل وفي هذا إشارة لقوله تعالي: **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ** [25]

فحالهم كانت إلي الهلاك لولا الخليفة سليمان الذي أحيا أنفسهم التي كادت أن تفني، وهويلمح لآية من كتاب الله عزّوجلّ إفادته في إتمام معني أبياته وفي الوقت نفسه كانت مدحاً للخليفة. والآية هي قوله تعالي: **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** [26]

ويكمل فرزدق مدحه للخليفة سليمان وعمّن سبقه من خلفاء طيبي الذكر متبعي سنة الرسول الأكرم (ص)، ومن الوعد المرتجي في العهد الذي سيكون امتداداً للخفاء، يقول الشاعر:(الكامل)

خلفاء قد تركوا فرائضهم ... فينا و سنة طيبي الذكر

تبعوا رسولهم بسنته ... حتي لقوه، وهم علي قدر

رفقاء متكئين في غرف ... فرحين فوق أسرة خضر [27]

يتقرب العبد إلي ربه بإقامة الفرائض وعمل المستحبات منها، أما الخليفة سليمان ومن قبله ممّن طابت سريرتهم فهم يتقرّبون لله بقضاء حوائج رعاياهم، فهؤلاء حتماً سينالون المنزلة الرفيعة في جنان الخلدمع الرسول المصطفي وسيلقونه وهو راضٍ عنهم.

في هذه الأبيات نلحظ مبالغة فرزدق يمدح الخلفاء الذين نالوا شرف لقاء الرسول (ص) وهم في وعلي الدرجات. وذلك في قوله:(في غرف). والغرفة هي المنزلة اوالدرجة الرفيعة التي يمنحها الله لعبادة المخلصين[28].يقول تعالي في كتابه الكريم: **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** [29] وقوله تعالي: **مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**[30]

CC BY

وفي أبيات يمدح فيها فرزدق يزيد بن عبدالملك وفيها يصوّركيفية بعث الأموات من جديد، فيقول :(البسيط)

بِالباعِثِ الوارِثِ الأَمواتِ قَد ضَمِنَت ... إِيّاهُمُ الأَرضَ بِالدَهرِ الدَهاريرِ

إِذا يَثورونَ أَفواجاً كَأَنَّهُمُ ... جَرادُ ريحٍ مِنَ الأَجداثِ مَنشورِ

لَو لَم يُبَشِّر بِهِ عيسى وَبَيَّنَهُ ... كُنتَ النَبِيَّ الَّذي يَدعو إِلى النورِ

فأنت،إذا لم تكن إياه صاحبه ... مع الشهيدين والصديق في السور ([31])

يقسم فرزدق بالذي ينشر العباد بعد موتهم وإن طال الدهر بهم ويصوّرهياتهم وحالهم ويشبهها بالجراد في سرعة حركته وانتشاره وكثرة عدده. وقد استمد هذه الصورة من القرآن الكريم فنياً، واستمدها من بيئته واقعياً، لأنه شاهدا سراب الجراد دائماً علي نحو ما هو مألوف في جزيرة العرب، أما البيت الثالث والرابع فهو مدح للخليفة مبالغ فيه، فهويوصل ممدوحه لمرتبة الأنبياء فلولا إن عيسي(ع) بَشّربالنبي محمد(ص) لكان هو النبي في هدايته للصراط القويم، ثم نجد فرزدق يبدل ممدوحه بما لم ينله من شرف النبوّة ولا الصحبة بأنه سيكون مع الشهيدين(عثمان وعمر) والصديق أبي بكر رضي الله تعالي عنهم أجمعين. ففرزدق نصف في هذا إذا لحقه مع من كان مثله في سيرته فالأبيات تحتمل معني بعيداً المح إليه. إما في تشبيه بعث الأموات بالجراد المنتشر فيحاكي قوله تعالي: **خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ** ([32])

نلحظ أثر آي القرآن الكريم في شعر الشاعر وإقراره بحتمية البعث والنشور.

و لفرزدق أبيات تضمنت المعني المتقدّم نفسه فيقول:(الكامل)

وَإِذا دَعَوتُ بَني فُقَيمٍ جاءَني ... مَجرٌ لَهُ العَدَدُ الَّذي لا يُعدَلُ

وَإِذا الرَبائِعُ جاءَني دُفّاعُها ... مَوجاً كَأَنَّهُمُ الجَرادُ المُرسَلُ([33])

يشير فرزدق إلي مكانته وسط هؤلاء مفتخراً بذلك، لأنه دعاهم استجابوا الدعوته،فجاؤا كانهم الجراد في كثرة عددهم وسرعتهم لإجابة دعوته.

ومن الصور الفنية الأخري التي استمدها الشاعرمن كتاب الله قوله:(الطويل)

وإذا دعوت بني فقسم جاءني ... كما الأرض أوتاد عليها جبالها

وأنتم لهذا الدين كالقبلة التي ... بها أن يضل الناس يهدي ضلالها ([34])

شاء الله تعالي أن يجعل الجبال أوتاداً للأرض في قوله: **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ([35]) لثباتها، فثبت الأرض بذلك. وقد التقط فرزدق هذه الصورة ووازن بين الجبال وبني مروان، الذين كانوا- علي وفق مايري –أوتاداً للدين، ليوازن من يسمع بين الصورتين فتتبين له قوّة بني مروان وثناتهم. أما في البيت الثاني فقد شبههم بالقبلة التي يجتمع المسلمون علي استقبالها، وقد وفق الشاعر إلي هذا التشبيه الذي أسبغ علي المعني هيبة وجلالاً، لأنه ركز علي قضية القبلة الروحية عند المسلمين والكعبة رمزّ لاتجاههم إلي الله تعالي وتوحيد جميعاً علي ملة واحدة، فأراد أن ياخذ من هذاالمعني فكرة توحيد الأمة ووجوب اتباع الإمام، انطلاقاً من قوله تعالي: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ([36])

فطاعة الخليفة من طاعة الله سبحانه وتعالي: وأفاد الشاعر من التشبيه المؤكد الذي جُذفت منه أداته لبسط صورة أخري ليزيد بن عبد الملك إذ يقول: (الطويل)

إليك وطِننا الثلج ينثر فوقنا و نكباء تلقانا برود الشبائم

مشمّرة بين الصبا وشمالها تجرر نواحيها رؤوس المخارم

إلي أن يقول:

و حبك حبل الله من يعتصم به إذا ناله يأخذ به حبل سالم

أبوك أبو العاصي و حرب كلاهما أبو الخلفاء المصطفين الأكارم([37])

ففي الأبيات المدحية المتقدمة نجد صورة الملاذ الذي إن فُقِدَ لم يستقم أمرُ الأمّة، فالله قد أجمع أمرالأمة علي يدَي ممدوح فرزدق، وإن حكم بني أمية هو حبل الله المتين، ذلك الحبل الذي لاينصدع ولايثلم، وقداستمد فرزدق هذا المعني من قوله تعالي: **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ([38])

وقد ورد في تفسير الطباطبائي (إن حبل الله هو الكتاب المنزل من عند الله وهو الذي يصل ما بين العبد والرب ويربط السماء بالأرض وإن شئت قلت إنّ حبل الله هو القرآن والنبي صلي الله عليه وآله وسلم)([39])

وفي مقطوعة شعرية يصور فيها فرزدق نفسه وهو يسَاق إلي النار والحساب، وهذه الأبيات استحضرها عندجنازة زوجه (النوار) حينما سأله الحسن البصري ما أعددت لهذا اليوم فقال: شهادة أن لا إلا الله منذ ثمانين سنة([40])، ثم أنشد قائلاً: (الطويل)

لَقَد خابَ مِن أَولادِ دارِمَ مَن مَشى إِلى النارِ مَشدودَ الخِناقَةِ أَزرَقا

إِذا جاءَني يَومَ القِيامَةِ قائِدٌ عَنيفٌ وَسَوّاقٌ يَسوقُ فرزدقا

أَخافُ وَراءَ القَبرِ إِن لَم يُعافِني أَشَدَّ مِنَ القَبرِ اِلتِهاباً وَأَضيَقا

إِذا شَرِبوا فيها الصَديدَ رَأَيتَهُم يَذوبونَ مِن حَرِّ الصَديدِ تَمَزُّقا([41])

إنّ لكلّ إنسان ملكا يحصي عليه أعماله وأنفاسه وحركاته وسكانته في الحياة الدنيا، قال تعالي: **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ـ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ـ كِرَامًا كَاتِبِينَ ـ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ([42])

وبهذا بقي فرزدق يتفكّرفي قضيه القبر وقضية البعث، بل هويعلم أن الإنسان إذا كان بعيداً عن الله فسينتقل من الدنيا إلي سجن مظلم فإذا انتقل وهو عاص فسيكون في قبر مظلم علي وفق قول الرسول (ص) : ((القبرروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرالنيران) والإخبار في ثواب القبر وعذابه كالمتواترة، وكان يقول في آخر صلاته: (أعوذبك من عذاب القبر))([43])-

فالعصاة في كل منزل يجدونه أوحش وأضيق من سابقه، أما إذا كانوا من أهل الجنة، فإن الأمرغير ذلك، يقول تعالي: **فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ـ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ([44]) فهم يرون القبر أوسع من الجنة وما فيها وبعد القبر

CC BY

ينتقلون إلي ما قاله تعالي: **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ** ([45])

ففرزدق قد أظهر خوفه من عذاب القبر والأشد من ذلك خوفه من نارجهنم، وقد صورحاله وهو يساق إليها- والبيت الثاني يصور كيف يساق ؟! مستلهما ذلك من قوله تعالي: **وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ** ([46])

يقول صاحب الميزان: (السياقة حث الماشية علي السيرمن خلفها بعكس القيادة فهي جلبها من أمامها،فقوله: أي جاءت إلي الله وحضرت عنده لفضل القضاء)([47])-

وفي آية أخري وردهذا التعبير(المساق) في قوله تعالي: **إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ** ([48])

وفرزدق في أبياته المتقدمة قد استحضر كلّ ما تقدم في ذهنه فصو حال الإنسان بعد الموت بنعيمة وعذابه، وهي صورة مركبة والتفاتة ذكية منه في التصوير المتقدّم.

ويتكلّم فرزدق عن قضية البعث والنشور، وذلك في نهاية قصيدة مدح فيها يزيد بن عبدالملك وأمه عاتكه يقول: (الطويل)

بقوة الله الذي هوباعث　　عباداً له من خلقته حيش نشيرا

عصائب كانت في القبور، فبعثرت　　عاد ترابا خلقيه حين قدراً ([49])

يشير فرزدق إلي صورة وهياة خروج هؤلاء، فهو علي يقين بقضية البعث التي تحدث عنها القرآن الكريم لقوله تعالي: **وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**([50])

وهذا الفعل لايقوم به إلا من هو قوّي عزيز، قال تعالي: **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ([51])

أما قول فرزدق: (عصائب) كانت في القبور فبعثرت، نجدالشاعر يشير إلي حقيقة أنّ النّاس يحشرون مع من كانوامعهم في الدنيا ومع من تشاكلت أنفسهم- وهذا اللفظ نجده في قوله تعالي: **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ** ([52])

ومن الصور الأخري ما يرد في قول فرزدق مادحاً سليمان بن عبد الملك بعد أن شكا إليه الأحوال قبل توليه الخلافة: (الكامل)

حتي غبطنا كلّ محتمل　　يمشي بأعظمه إلي القبر

وتمنّت الأحياء أنّهم　　تحت التراب و جيئ بالحشر([53])

رسم الشاعر صورة هؤلاء وما وصلوا إليه من الباس، وقدصوّرها والم من خلال قوله: (أعظمه) كناية عن الجوع الذي لحقهم ففضلوا القبر وتحمّل قيام الحشرعلي ما هم عليه من سوء الحال فصاروا يتمنون الموت وردوا لو ذهبوا إليه-وهذا يذكرنا بآية من كتاب الله تعالي قوله: **قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ - قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ([54])

٢ـ التمثيل:

التمثيل لغة من (المثل) وله معانٍ متقاربة ومختلفة، أهمها ([55]): الشبه، المثل "بالكسر"بالكسر" النظير، الصفة، العبرة والحجة والآية والحديث، المثل والحذو والشاخص.

أما اصطلاحاً: فعُرف المثل بأنه: (جملة من القول مقتضية من أصلها أو مُرسلة لذاانها تتَّسم بالقبول وتشتهربالتداول)([56]).

أمافي الأدب: (فهو القول الشائر الممثل بمضربه، أي المشبه حال مضربه، أي الحالة التي كان قدوردفيها القول، فهواستعارة تمثيلية مبنية علي التشبيه المركب أي تشبيه الصورة المنتزعة من حال المشبه بالصورة المنتزعة من الحالة التي كان عليها المشبه به)([57]).

أما المثل في القرآن الكريم: فهو (كلام يقصدبه تصوير حالة أو واقعة أو شخص لاتعاظ القارئين السامعين بالصورة التي صوّرهالهمأاو لايناسهم بها سواء أطال الكلام أم قصر أم بقي في لوحته اللامعة مكتوباً محفوظاً([58]).

أما عن أهمية الأمثال القرآنية فإنها قد:(أبرزت المعقول في صورة مجسمة وأبرزت المعنوي في ثوب المحسوس وفصّلت المجمل وأوضحت المبهم لتهذب بذلك الطبائع وتعلّم الغرائز الشريرة)([59]). فالمثل (يهدف إلي الغوص في أعماق النفس والدخول في شغاف القلب ليحقق غايته في الهداية والصلاح)([60]).

ويلجأ الشاعر إلي المثل إذا ما وقعت له حادثة، تطابق في تفصيلاتها التي قيل علي أثرها المثل فضلاًعن ذلك فإن المثل يحمل في طياته جانباً تعليمياً واستخلاص العبر، وهو مايقصده الشاعرفي بعض الأحيان([61])، مستنداً في ذلك إلي اللحمة القصير الدالة، الدالة، تاركاً لذهن السامع ربط المثل بالقصة، ليفهم المعني الذي قصده الشاعر([62]).

ووُصِفَت الأمثال بأنها نهاية البلاغة،لما اجتمع فيها من(إيجاز اللفظ وأصابة المعني، وحسن التشبيه، وجودة الكناية)([63]). وبذلك سهل حفظها وتداولها، وقدشاعت في تشبيهات فرزدق ظاهرة التشبيه التمثيلي بصيغ معينة، وقد اتخذت شكلاً (مثله كمثل---)، كماسياتي:

في القرآن الكريم كثير من الآيات التي تدعونا إن نتخذمن أخبار الماضين دروساً وعبر، وقد تلبّس هذا المعني فرزدق فهو يصوّرلنا التجارب وعواقب الماضين بأستاذ حاذق لايجوز مخالفته فيقول: (البسيط)

ماتنه عنه فإني لست عنه قاريه وما نهي من حليم مثل تجريب

وما يفوتك شئ أنت طالبه ومن منعت فشئ غير مقروب([64])

فتجارب الماضين وسننهم هي مواعظ وعبر للاحقين، بحسب قول فرزدق في أبياته المتقدمة. ومن أمثاله الأخري فقد ضرب مثلا بيوسف وكيد إخوته، وهو يخاطب يزيد بن عبد الملك قائلا: (البسيط)

كُرن مثل يوسف لما كا إخوتيه سيلّ الضغائن حتي ماتت الحقد

وكيف ترمي بقوس لا توترها إذا الملوك رميوا واستهدف النضدُ

ألا تري لهم في ملكهم علماً ولا تري علما إلا له سند([65])

أخذ الشاعر من قصة يوسف (عليه السلام) عفوه وصفحه عن إخوته بعد أن مكّنه الله تعالي وجعله ملكاً، قال تعالي: **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُاللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ([66])

ونعتقد أنّ الشاعر استثمر هذه الصورة لجميل الممدوح كالنبي يوسف ليس في العفو فقط- كما ظهر- بل في القوة والسطان والملك، لأن يوسف عليه السلام عفا عن إخوته بعد أن صار عزيزالمصر.

وفي صورة تمثليه تظهرسرعة بديهية الشاعر وذلك لشدّة تعلقه بآي القرآن الكريم، فضلاً عن تمكّنه من معانيه، فقد استطاع أن يقتبس من القرآن الكريم ما أفاده في ضرب أمثلة تشبيهية كان لها الأثر الواضح في السامع، قائلا في مديحه سليمان بن عبد الملك: (الطويل)

جعلت لأهل الأرض عدلا و رحمة وبرءا لآ ثار الجروح الكوائم

كمابعث الله النبيّ محمدا علي فترة ، والناس مثل البهائم([67])

في هذه الأبيات يشبه الشاعر مجئ سليمان بن عبدالملك إلي الحكم كمبعث النبي بعد فترة من الرسل، فهو أي سليمان يمثل العدل والرحمة وبراءا لجروح لأهل الأرض، فالشاعر باشارة من بعيد يقلل من شان الخلفاء الذي سبقوا سليمان وإنهم ليسوا مثله، وهذا ما قصده الشاعر ربما بلفظة: (الفترة) أي أنه لم يسبق الخليفة سليمان أحد مثله في عدله ورحمته، لا لخلو الأرض من الخليفة الحاكم، بل لخلوها من الخليفة العادل كسليمان الذي شبهه بالنبي سليمان (عليه السلام) في عدله ورحمته بحسب زعم فرزدق.

وقد اقتبس الشاعر معني أبياته من قوله تعالي: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍوَلَا نَذِيرٍفَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌوَنَذِيرٌوَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ([68]) وقوله تعالي: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ([69])

وقد شبّه الشاعر في عجز البيت الثاني من ابتعت إليهم سليمان (بالبهائم) التي لا تفقه كثيراً مما تعمل فهي مسيرة بغير إرادة، وهذا أيضا أثر بين لقوله تعالي: **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ـ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ([70])

ففرزدق يريدان يقول إنّ جريراً كأهل النار كان يرجوها خلاصاً من هجاء الراعي النميري فأغاثه فرزدق بماء صديد من الهجاء، فكان ذلك جزاؤه فزاد حزنه و ألمه-وهذ االتقابل الدلالي بين ما يريده الشاعر والنص القرآني يكشف من قدرته في استجلاء النصوص القرآنية:

٣-الاستعارة:

تتميز الاستعارة بالأسلوب البارع ولاسيما في البيان القرآني، وهي تلك التي تعبّر عن الغرض في تصوير رائع بلفظ قليل، له أثره في نفس السامع من غير إطالة ولا إطناب- والاستعارة تحمل الذهن علي تخيل صورة جديدة، لذاتعدّ من أبرز طرائق التعبير القائمة علي التخيل، وقدوقعت في كلام العرب قديما (قبل أن يتحدّد مفهومها الاصطلاحي،أوي،دوّن حولها شيء ما)([71]).

ولأهميتها في البلاغة والأدب،حظيت بتعريفات كثيرة([72])، لأننا نجد فيها غني في التصوير والحركة، وفيه انتقال بالنص من الجمود اللفظي إلي المرونة في الاستعمال، ولها أثر بارز في التصوير الشعري. يقول الشيخ عبد القاهرالجرجاني في كلامه عن فضل الاستعارة،وأثر هاب وصفها وسيلة من وسائل التصويرالبياني: (إنّها أمرّ ميداناً، وأشدّ افتناناً، وأكثر جرياناً وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها) ([73]).

ومن خصائص الاستعارة أنها تقوم علي الانتقال الدلالي بين الألفاظ أو تجاوز اللغة الدلالية إلي اللغة الإيجائية([74]). وهي تختصر المسافات فيما بين المعاني، وتجمع ما ليس بينه رابطة من قبل([75]).

وقد أشار عبد القادر الجرجاني إلي ذلك، بقوله:(ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مسجد---وأنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتي تراها مكررة في مواضع ولها في كلّ واحد من تلك المواضع شان مفردوشرف منفرد)([76]).

فالعلاقة بين حدّي القياس الاستعاري علاقة امتزاج واتحاد، وبلوغ المعني لايتم إلا عن طريق سلسلة كامنة من الوسائط التي تصل بين الدال والمدلول، وتظهر براعة الشاعر في قدرته علي خلق التلاؤم بين عناصر الصورة الاستعارية من جهة، والتجربة الشعورية أو الجو النفسي العام للقصيدة من جهة أخري([77]).

وأفاد الشاعر من الاستعارة التصريحية لبسط صورة هجاء ناقض فيها جريراً بقوله: (الكامل)

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضي: عليك به الكتاب المنزل([78])

في البيت المتقدّم ضرب فرزدق صورة استمدها من واقع الحياة ليقرب بها الأذهان إلي ما يريد، فبيت العنكبوت واه ضعيف كما وصفه الباري عزّوجلّ في كتابه الكريم بقوله تعالي: **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ([79])

ففرزدق في بيته جعل الهجاء نازلا من السماء علي مهجوه بقوله: (وقضي عليك به الكتاب المنزل)، فليس ثمه بيت أوهن من بيت جرير كما يريد الشاعر، ومن ثم نلاحظ هجاءً خفياً تشير إليه الآية التي أفاد منها فرزدق، وهوتقريب المهجو من الكفّار، يقول الطبرسي:(شبّه حال الكفّار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت---أي شبّه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرّها، والرجوع إليها عندالحاجة كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً "لنفسها تأوي إليه، فكما أن بيت العنكبوت لايغني عنها شيئاً، لكونه في غاية الوهن والضعف،ولا يجدي نفعاً، كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً وشراً، ونفعا وضراً)([80]). وفي صورة أخري للشاعر يقول: (الطويل)

ومشمولة ساوَرتُ آخِرَ لَيلَة زجاجَتها، والصّبحُ لم يتنفّسِ([81])

في البيت المتقدّم وعلي الرغم من جمال الصياغة، فإن فرزدق استعملها في غير محلها، لأنه يتحدّث عن قضية أخري وهي شرب الخمر، وهي غير ما تحدث عنها القرآن الكريم، قال تعالي: **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ([82])، إلا أنه استحضر هذه

CC BY

الصورة القرآنية فالصبح كانه كائن حي يتجاوب مع المؤثرات الخارجية التي تحيطة، وتنفسه يعني الحركة وبثّ الحياة من جديد بعد إن كان الليل جاثماً علي صدره إلا إن صبح فرزدق لم ينبلج بعد.

يقول صاحب الميزان في تفسيره: (وعدّ الصبح متنفساً بسبب انبساب ضوئه علي الأفق ودفعه الظلمة التي غشيه نوع من الاستعارة بتشبيه الصبح وقد طلع بعد غشيان الظلام للآفاق من أحاطت به متاعب أعمال شاقة ثم وجد خلاء من الزمان فاستراح فيه وتنفس فعدّ إضاءته للأفق تنفساًمنه كذا يستفاد من بعضهم([83]).

الخاتمة:

اتضح من خلال البحث ضعف رأي من ادعى خلو الشعر الأموي عامة وشعر فرزدق خاصة من الأثر القرآني وغلبة الجاهلية عليه فهذا لا يعتمد على الحقيقة والدقة والفهم السليم المقومات الشعر العربي في العصر الأموي.

فقد أخذ فرزدق حظا وافرا من التأثر بالقرآن الكريم من ناحية أغلب الألفاظ والأفكار والمعاني، وبحظ وافر كذلك من الصياغة التقليدية التي سرت فيها نفحة عطرة من الأسلوب القرآني في أغلب أشعاره نتيجة لثقافته القرآنية منذ الصغر؛ لذا كان الأثر القرآني في شعره واضحا بينا ، إذ لا تستبعد معرفته العميقة بالقرآن الكريم، لمعرفته أحكامه، وتدبرها.

إن تلميحات القرآن الكريم في شعر فرزدق من الشروط الواجب توافرها في تأكيد نجاحه وتمكنه آنذاك. فضلا عن اطلاعه على الشعراء الإسلاميين الذين من قبله لعهد قريب. فلا يستبعد أن يكون لهذا الاطلاع الأثر في تسرب أفكار القرآن الكريم إلى شعره.

إن تتبع التطور الدلالي لبعض الألفاظ، وما أحدثه القرآن الكريم فيها من تغيير ثم عرض ذلك في شعر فرزدق، كان الغرض منه إقناع المتلقين بأن تأثر هذا الشاعر بالنصوص القرآنية دليل إيمان وقدرة في التوظيف الفني، فقد سرى هذا الأثر في أغراض الشعر المختلفة، ليباهي بذلك خصمه ويحقق التفوق عليه. ووظف الشاعر القصة القرآنية في شعره،إذ كانت تأتي في أغراض مختلفة وقد تقتصر على غرض محدد، وفي كلّ غرض نجد جزءا من القصة يختلف عن جزئه الآخر.

ومدح الشاعر الخلفاء والحكام بالمعاني الدينية، ليكسوهم اللباس المقدس في الخلافة والحكم، وإثبات أحقيتهم بها، ليرفع من شأنهم. فالممدوح عند الشاعر ملتزم بما ورد في القرآن الكريم، وهو مطبق لسنة رسول الله (ص) ، ونهج الصحابة من بعده. فهو ينشر العدل والمساواة، وهو من استخلفه الله تعالى في أرضه وأمينه، والحافظ لدينه ومثبته في قلوب رعيته حتى أصبح عدو الخليفة كأنه عدو الشاعر موقد نسب الخلفاء إلى الأنبياء، وبأنهم قد ورثوا الخلافة عنهم فالأنبياء قد أرسوا دعائم الخلافة، وبنو أمية يكملون ما بدأ به الأنبياء. ولم يقتصر الشاعر على ذلك بل عد نفسه من ورثة كتاب الله، والنبوة والكعبة المشرفة، وافتخر بذلك.

وأفاد فرزدق من الصور والأفكار التي عرضها القرآن الكريم في ذكر الجنة والنار، وقصور الجنة وما فيها، إذ وظفها في المديح والرثاء، ووظف ذكر النار في الهجاء وبالمديح قليلا قياسا بالهجاء مستندا إلى التشبيه في صياغة المعنى الذي يتحدث عنه ولم يخض الشاعر بتفاصيل عرض القرآن الكريم لصور الجنة..

CC BY

الهوامش

[1]- ديوان عبدالله بن رواحه- دراسة وتحقيق في سيرته و شعره :ص،٩٢-

[2]- شرح ديون كعب بن زهير :ص١٩-

[3]- شرح ديون كعب بن زهير :ص٢٠-

[4]-الأنفال :رقم الآية ٤٤-

[5]- الديوان ،ص ٣٦١-

[6]- النحل ،١٦، الآية ٤٩-

[7]-ديوان فرزدق، قدم له و طبعه و شرحه ووضع فهاره(صلاح الدين الهواري) دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر،بيروت،ط١،٢٠٠٧م- ص٢٠-

[8]- البقرة: 2: 156

[9]: ديوان فرزدق، قدم له و طبعه و شرحه ووضع فهاره(صلاح الدين الهواري) دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر،بيروت،ط١،2007م- ص20-

[10]- سورة البقرة الآية : 127-

[11]- سورة القارعة الآية: -9-

[12]- ينظر :الصورة الفنية في النقدالشعري،عبدالقادرالرباعي:185

[13]-ينظر:النقدالادبي الحديث:162-411

[14]-ينظر:نظرية الفني عندسيدقطب:23

[15]- ينظر:البيان والتبيين:ج 1،38-35

[16]- من قضاياالشعروالنثر:128

[17]- ينظر:اسس النقدالادبي عندالعرب:529

[18]- ينظر:الصورة الادبية في القرآن الكريم،صلاح الدين عبدالتواب:45

[19]- الديوان :69

[20]-الرحمن:31

[21]-الديوان :379

[22]-الديوان:379

[23]-سورة الشمس ،رقم الآية:.11.14

[24]-الديوان ، 381-380

CC BY

[25]-الانبياء:30

[26].المائدة:32

[27].الديوان:382

[28].ينظر:التطوّرالدلالي بين لغة الشعرولغة القرآن الكريم:415

[29].الزمر:20

[30].الرحمن:86

[31].الديوان:351

[32].القمر:7

[33].الديوان:119

[34]الديوان:ج2،104

[35]-النبا:7

[36]-النساء:59

[37]-الديوان:ج2،254

[38]-آل عمران:103

[39]-الميزان:ج3،329

[40]-ينظر:الاغاني:ج21،415

[41]-الديوان:ج2،31

[42]-الانفطار:9-12

[43]-بحارالانوار:ج6،25

[44]-الواقعه:88-89

[45]-النحل:31

[46]-سورة ق:21

[47]-الميزان:ج18،349

[48]-القيامة:30

[49]-الديوان:227

[50]-الانفطار:4

[51]-الزمر:68

[52]-يوسف:14

[53]-الديوان:380

[54]-الجمعة:6

[55]-ينظر:مجمع الامثال:ج1،5

[56]-المزهر:ج1،481

[57]-المثل في القرآن الكريم:5-6

[58]-م ن:6

[59]-الامثال في القرآن الكريم،ابن قيم الجوزية:8

[60]-الصورةالفنية في المثل القرآني،محمّدحسين الصغير:149

[61]-ينظر:الصورةالفنيةفي المثل القرآني:62

[62]-ابوتمام ثقافته من خلال شعره:36-37

[63]-مجمع الامثال:ج1،6

[64]-الديوان:119

[65]-الديوان:167

[66]-يوسف:92

[67]-الديوان:ج2،237

[68]-المائده:19

[69]-الانبياء:107

[70]-الفرقان:44

[71]-الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية:219

[72]-ينظر:نقدالشعر:55،الواسطةبين المتنبي وخصومه:40-41،كتاب الصناعيين:274

[73]-اسرارالبلاغة:104

[74]-ينظر:النظريةالبنائيةفي النقدالادبي:359

[75]-ينظر:الصورةالشعرية:44

[76]-اسرارالبلاغة:41

[77]-ينظر:الاسس النفسيةلاساليب البلاغةاعربية:423

[78]-الديوان:ج2،118

[79]-العنكبوت:41

[80]-مجمع البيان:ج8،27

CC BY

[81]-الديوان:403

[82]-التكوير:18

[83]-الميزان:ج20،216

OPEN ACCESS